بسم الله الرحمن الرحيم (الشعراوي كما عرفته تجاوز الله عنه)

الأستاذ محمد متولي شعراوي كان أحد أساتذتي في كلية الشريعة بمكة وهي أول كلية للتعليم العالي في جزيرة العرب، قبل أن تتحول بعد عشرين سنة إلى (جزئية) من جزئيات جامعة الملك عبد العزيز بجدة ثم ملحقة إلى جزئية من جزئيات جامعة أم القرى بمكة المباركة. وكان تجاوز الله عنه خفيف الظل مؤهلا للخطابة والوعظ القصصي المستمتع. وكان يدرسنا البلاغة منذ عام ١٣٧٢هـ، ويحضر درسه بعض ما قرأه عن الفنون المصرية، وكأنما كان يحرص على الاستمداد عما كان يعرفه الناس عن الأزهريين من الاقتصار على العلوم الشرعية.

أذكر مرة في درس البلاغة الفن الوحيد الذي تخصص في تدريسه أنه ترك البلاغة بالسبب الظاهر وأخذ يشرح لنا القول الرسمي كيف تطير الطائرة وعلاقة ذلك بالريح والمراوح (لم يكن للنفاثات وجود يومئذ) كانت معلومات كثيرة ومثيرة وذاكرته قوية ولكنه لم يأبه يفرق بين الحديث الصحيح والضعيف والموضوع، ولا بين السنة والبدعة، ولا بين التوحيد (دعاء الله وحده) والشرك، ولا بين التفسير الشرعي للقرآن بالمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو المكلف ببيانه للأمة: ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾، وعن صحابته والتابعين له بإحسان في القرون الخيرة، وبين التفسير البدعي المبني على الفكر (في القرن الماضي بخاصة) بل كان أكثر اعتماده (إن لم يكن كله) على هذا النهج الضال عما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم وأرضاهم:

١) مما أنكره من خروجه عن نهج السلف: تفسيره كلمة ﴿ذرة﴾ في مثل قول الله تعالى: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة﴾ بما وصف به ذرة بأنها أصغر جزء في التفاعل الكيميائي (ATOM)، وهذا بلا شك مخالف لبيان النبي وفهم أصحابه، وتفسير للعليم بالظن.

٢) ويقول الشعراوي تجاوز الله عنه: أن هناك طريقين للوصول إلى الجنة: الطريق المعروف (أن تعبد الله تعالى طمعا في جنته وخوفا من ناره) وطريق رابعة العدوية التي تقول: اللهم إن كنت أعبدك طمعا في جنتك فاحرمني منها، وإن كنت أعبدك خوفا من نارك فأدخلني فيها. والله تعالى يقول لعباده: ﴿وادعوه خوفا وطمعا﴾.

٣) ولم أره مرة أنكر ما عليه أكثر المبتدعة من الشرك الأكبر بصرف شيء من العبادة لغير الله، وعندما يمر على آية تأمر بإخلاص الله بالعبادة تنهى عن دعاء غير الله معه: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾ ومن أفضل

ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة﴾ ﴿فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ لا يكاد يذكر شيئاً عن أول ما أمر الله ورسله به ولا عن أول ما نهى الله ورسله عنه، مع كثرة استطراداته وشطحاته.
بل كان يدرس عدة سنين في وثن باسم الحسين رضي الله عنه فلا ينهى من يطوف بالوثن ويطلب المدد، وعندما نبهه أحد الدعاة إلى الله قال: إن الذي يطوف ويدعو لا يقصد إلا الله وإنما يتقرب بالحسين إلى الله، وهذه حجة المشركين: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾.

٤) وعند عرفناه لم نثق بما يقول في التوحيد ولا في التفسير ولا في الحديث ولا في الفقه ولا في أي علم أو فن غير البلاغة، فهو مثل كل أو أكثر الواعظين القصاصين يخلط بين الغث والسمين والفكر والوحي واليقين والظن.

٥) ومن أمثلة القول على الله بغير علم: قوله في تفسير ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾: الشمس تبعد عنا ٨ دقائق ضوئية والثانية الضوئية تساوي (٣٠٠٠٠) كيلومتر. وفي تفسير ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾: (ومن العجيب أن العناصر المكونة للإنسان هي نفس عناصر المكونة لطين التربة الخصبة مما يدل على تأكيد القرآن في أن الله خلقنا من طين... وأهم هذه العناصر الأوكسجين، الكربون، الهيدروجين، النتروجين) وعد ١٤ عنصراً وهو لا يعرف عن هذا الأمر أكثر من: سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.
والحقيقة أن كل من افترى على التفسير ما سمي: الإعجاز العلمي في القرآن من طنطاوي جوهري إلى مصطفى محمود ومن سليم مثل الزنداني وزغلول النجار وعبد الله المصلح قاصرون في العلم الشرعي وفي العلوم العصرية (النظريات الكونية)، وقد رد هم الفكر الأوروبي فحسبوا أنهم يحسنون صنعاً بربطهم هذا الظن بيقين القرآن تجاوز الله عنهم وكفى الإسلام والمسلمين شرهم.

٦) ومن إحسان الظن بأستاذي الشعراوي ظننت أنه لم يرد أن يدرس في التفسير للعامة وباللغة العامية المصرية أن يطبع وتزاد بذلك التفسير الظني، ولكن بعض مؤيديه تولى كبر هذا الأمر جهلاً بما يوجبه عليه شرع الله من المحافظة على كتاب الله والنصيحة له وللمسلمين فترجمه إلى اللغة العربية الدارجة، ولعل الله أن يعذرهم بجهلهم.

٧) وفي الختام إلى القارئ الكريم كلمات من التفسير الشعراوي تؤيد حسن ظني في الفقرة (٦): ﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض﴾ (سلم يدع أحد لنفسه مسألة التربية لأن جماعات ينفع لهم، لكن الألوهية خلت بمنهج: افعل ولا تفعل) والأولى للقارئ أن يكمل النص ص ٩٩٦/١٠/١٤٢٤.